الذكرى 68 لثورة 23 يوليو

مصر قبل عبد الناصر وبعده

حسن عاتي الطائي
بغداد

كانت مصر قبل قيام ثورة الثالث والعشرين من يوليو عام 1952 التي أطاحت بقيادة الزعيم الخالد جمال عبد الناصر بالنظام الملكي الرجعي الفاسد وبسلالة محمد علي باشا الذي حكم مصر مابين /1805 1845دولة ضعيفة محتلة منذ العام 1882من قبل الإستعمار البريطاني مسلوبة الإرادة السياسية والإقتصادية ،شعبها منهك فقير يخيم عليه البؤس والجهل والظلم ،يعاني من القمع والإضطهاد والإستغلال في ظل إحتلال أجنبي غاشم ظالم ،وسيطرة طبقة سياسية مصلحية متخلفة متواطئة معه وعميلة له وعصابة مستغلة مجرمة مؤلفة من الإقطاعيين وسماسرة السياسة وشرذمة من الأجانب والمتمصرين يهيمنون على مفاصل الحياة اليومية وشتى مرافق الدولة ويستغلون مصادر طاقتها وقوتها ويحلبون خيراتها وينهبون ثرواتها ما شاء لهم الأستغلال والنهب في وقت كانت فيه الغالبية العظمى من المصريين يعيشون في أدنى درجات الفقر والحاجة والإنحطاط وكأنهم "دون مبالغة"ليسوا بشرا لهم الحق في أن يعيشوا إحرارا يتمتعون بحياة حرة كريمة..

سنوات طويلة

وبحسب ما يؤكده الكاتب والصحفي الأمريكي المعروف"ولتون وين " الذي عاش لسنوات طويلة في مصر قبل الثورة وبعدها ورأى عن قرب ما يعانيه الشعب المصري من حرمان وعذاب وحياة مزرية تكاد لا تصدق والذي كتب عن عبد الناصر وثورته كتابه الشهير"ناصر العرب..البحث عن الكرامة" الصادر في العام 1959فإنك(لو سرت في القاهرة منذ سنوات "قبل الثورة" لما رأيت الكثير من الدلائل على أن مصر بلد عربي أسلامي، فالإعلانات وإشارات المرور كانت مكتوبة بالفرنسية أو الإيطالية أو الإنكليزية أو اليونانية ونادرا ما تسمع اللغة العربية،وحتى هندسة البناء كانت أوربية،ويوم العطلة في المنطقة التجارية كانت الأحد بدلا من الجمعة..وفي الجامعات كانت الكتب والمحاضرات بالإنكليزية أو الفرنسية أو الألمانية أما العربية فكانت لغة الخدم والجهلة..وفي تلك الأيام كنت تستطيع أن ترتكب جريمة قتل وتنجو من العقاب شرط أن تكون أوربيا أو تحمل الجنسية الأوربية..كان أسوأ شيء أن تحمل الجنسية المصرية،ونظام الإمتيازات الذي كان يتمتع به الأوربيون يعني أن الغربيين لا يخضعون للقانون المصري ولا يحاكمون أمام المحاكم المصرية ولا يدفعون الضرائب، وهذه الحصانة للأجنبي شجعته على أن يهرب السموم الى مصر ويبيعها تحت سمع السلطات وبصرها على أنها أدوية دون أن يخشى شيئا..والجنسية الأوربية فوق ذلك كانت تحمي حاملها من المنافسة التجارية أو المهنية،وكان واضحا أن طريق النجاح في مصر هو أن لا تكون مصريا..وبالنسبة للأسرة الحاكمة فقد كانت أوربية وليست شرقية،كان أفرادها يتكلمون الفرنسية أو الإيطالية أو التركية أو الأنكليزية،وكان القلائل منهم يعرفون العربية لغة البلد الذي يحكمون،وحتى في أيام الملك فاروق كانت الأميرات يتلقين الدروس باللغة العربية التي كانت تبدو غريبة عنهم كاللغة الصينية ..وعلى دين الملوك سارت طبقة الملاكين وأصبحت الفرنسية لغة الصالونات، وكانت السيدات يتباهين بجهلهن للعربية.. لم يكن عند هؤلاء أي شعور نحو الرجل الذي يمسك بالمحراث والذي يؤمن لهم أسباب الترف بعرق جبينه،فحالة الفلاح المصري بالرغم من كل هذا الثراء لم تتبدل إطلاقا، فقد كان هم مالك الأرض أن يعصره ويعصره لينتزع كل قطرة منه ثم يحيل إليه جباة الضرائب ليجلدوه وينتزعوا منه كل شيء..ص/16 (..19وكما يقول الدكتور إسماعيل صبري عبد الله الوزير السابق والخبير الأقتصادي المعروف (فإن السيطرة الإستعمارية لم تكن إحتلالا عسكريا فقط بل إن الثمانين ألف جندي بريطاني بمصر كانوا في الواقع يحرسون عملية إستغلال إقتصادي بشع يتولاها الإستعمار العالمي..كان النظام المصرفي بأكمله إبتداءا من البنك المركزي"البنك الأهلي"حتى أصغر بنوك الرهونات تحت سيطرة رأس المال الأجنبي. وحتى بنك مصر نجح الإستعمار مستعينا بالحكومة في أن يقصي عنه القيادات الوطنية ويفرض عليه قيادة متعاونة مع الإستعمار ويربط نشاطه برأس المال الإستعماري، وكان كل نشاط التأمين في مصر بيد وكالات أجنبية أو فروع لها أو شركات مصرية إسما يسيطر عليها الأجانب في الواقع ..وإلى هذا فإن التجارة الخارجية كانت حكرا على الأجانب وقلة من المصريين تدور في فلكهم،فأهم الصادرات وهو القطن حوالي 85%منه بيد بيوت التصدير الأجنبية التي كانت تسيطر في الوقت نفسه على المحالج والمكابس..كانت التجارة الخارجية تمثل في ذلك الوقت 50%من الدخل القومي، ومعنى ذلك أن نصف الدخل القومي لا تؤثر فيه يد وطنية ولا سياسة وطنية،..أما مصادر الطاقة وهي أساس التصنيع وتطوير الزراعة فقد كانت هي الأخرى بيد الأجانب، فإستخراج النفط إحتكار لشركة شل وأستيراد النفط ومنتجاته وتوزيعها بيد شركة النفط العالمية أو فروعها،ومحطات الكهرباء الحرارية الهامة فقد كانت بيد شركات فرنسية أو بلجيكية، وكان للمصالح الإستعمارية الوزن الأكبر في قطاع النقل، فقناة السويس دولة داخل الدولة وشركات النقل البحري والنهري يسيطر عليها الأجانب، والنقل العام بالقاهرة تملكه شركة بلجيكية،وكان الجزء الأكبر من الصناعة"رغم نموها المحدود"بيد الأجانب والمتمصرون وحتى صناعة النسيج المصرية دخلت مرحلة التعاون مع رأس المال الأجنبي الذي كان يسيطر على منتجات الصناعة المصرية وعلى المحلات التجارية الكبرى في البلاد..ص/102 101من مقال بعنوان"ثورة يوليو والتنمية المستقلة"/مجلة المستقبل العربي/العدد 89 لسنة..(1986ويضيف قائلا (كانت السلطة الحاكمة لا تهتم بصحة المواطن ولا بتعليمه ،فقد كان عدد الأطباء في جميع أنحاء البلاد لا يتجاوز"5668طبيبا وكانت غالبية الأسرة والأطباء في القاهرة والإسكندرية،أما سكان الريف فأقصى ما كانوا يطمحون إليه هو وجود مستشفى متواضع في عواصم المديريات،أما التعليم فقد حكمته لعشرات السنين سياسة"دنلوب" الشهيرة القائمة على تعليم العدد المحدود اللازم لتزويد الحكومة بالموظفين،ولم يزد عدد تلاميذ المدارس الإبتدائية عن"7500تلميذ لكل مئة ألف مواطن، أما عدد تلاميذ المدارس الثانوية الفنية فلم يزد عن "1160تلميذا لكل مئة ألف مواطن،أما التعليم العالي فكان الوصول إليه مقتصرا على أبناء أغنى أسر الطبقات الوسطى ولذلك لم يزد عدد الطلاب فيه عن "189طالبا لكل مئة ألف مواطن، أما الخدمات الإجتماعية فكانت مقتصرة على بعض الإعانات للجمعيات الخيرية،ولم تكن الدولة تعير الثقافة أدنى إهتمام.. تلك كانت صورة مصر عشية الثورة ..ص..(106/105بعد الثورة تغير كل شيء ..فلقد أعادت ثورة يوليو/تموز مصر لأبنائها وأزاحت عن وجهها الجميل ظلام الليل الثقيل الذي هيمن على وادي النيل لمئات طويلة من السنين وإستردت بعد أن طردت المحتلين وأزالت الزمرة السياسية الفاسدة التي نصبها المستعمرون وتخلصت من طبقة الإقطاع وقوى الإستغلال الأجنبي والداخلي للمصريين كرامتهم وحريتهم وحقوقهم وإستقلالهم وثرواتهم وإرادتهم الحرة المستقلة وثقتهم بإنفسهم وحققت لهم مكاسب ومنجزات كبرى كانت بمثابة أحلام غير قابلة للتحقيق كتوزيع الأراضي الزراعية على الفلاحين من خلال قانون الإصلاح الزراعي الذي حررهم من عبودية الأقطاع وإستغلاله البشع وإزالة الفوارق الطبقية بين أبناء المجتمع وتحقيق العدالة الإجتماعية والمساواة وتحرير المرأة من الظلم الإجتماعي الذي كانت تتعرض له خلال سنوات الإستبداد ونيل الطبقة العاملةلحقوقها الضائعة وإجلاء قوى الإحتلال الإنكليزي عن أرض النيل ومجانية التعليم والتأمين الصحي والإجتماعي والمستشفيات والوحدات الصحية والمدارس والجامعات في كل مدينة وقرية ووصول الكهرباء والماء النظيف الى كل قرية من قرى مصر وإقامة أكبر قاعدة صناعية في الوطن العربي والعالم الثالث تجسدت في بناء أكثر من 1200مصنعا في مختلف أوجه الصناعة مما كان دعامة قوية لنهضة إقتصادية كبرى شهدتها مصر أصبح فيها الإقتصاد المصري أقوى من إقتصاد كوريا الجنوبية بشهادة الخبراء والمختصين في الأمم المتحدة إضافة لبناء أكثر من أحد عشر ألف مسجدا لتكون أكثر من عدد المساجد التي بنيت في مصر منذ الفتح العربي الإسلامي لها وإفتتاح إذاعة خاصة بالقران الكريم وتوزيع ملايين النسخ منه في القارة الأفريقية وشتى أرجاء العالم ثم جمعه مجودا ومرتلا بأصوات أفضل وأشهر القراء ليكون عبد الناصر بذلك أول حاكم مسلم يقوم بجمعه مرتلا منذ أن تم جمعه لأول مرة في عهد الخلافة الراشدة.

تدريس العلوم

الى جانب تطوير الأزهر الذي أصبحت تدرس فيه العلوم والطب والهندسة الى جانب العلوم الدينية ثم بدأ التحول نحو الإشتراكية بمفهومها الناصري الذي لا يتعارض مع الثوابت الإسلامية والقيم العربية وبناء السد العالي الذي وصف بإنه أعظم بناء هندسي في القرن العشرين وغيرها الكثير، ثم لتصبح مصر بقيادة الزعيم الخالد جمال عبد الناصر الذي غدا بطلا قوميا وزعيما لا ينازع للأمة العربية خلال سنوات الكفاح اللاهبة التي تم فيها مواجهة مثلث الشر/الإمبريالي/الصهيوني/الرج عي/ في كل مكان من الوطن العربي وعلى مستوى العالم الثالث وفي شتى أنحاء العالم وخاصة بعد تأميم قناة السويس والتصدي البطولي للعدوان الثلاثي الغادر عام 1956والوقوف بوجه الأحلاف الإستعمارية كحلف بغداد ومن ثم إقامة أول دولة وحدوية في التاريخ العربي الحديث بين قطرين عربيين هما "مصر وسوريا" هي (الجمهورية العربية المتحدة)وحمل عبد الناصر لراية الوحدة والقومية العربية قاعدة شامخة لنضال الأمة العربية وشعوب العالم من أجل نيل حريتها وإستقلالها دولة قوية مرهوبة الجانب لها كلمتها المسموعة ومكانتها المؤثرة في ميدان السياسة الدولية..إن أمتنا العربية الباسلة وهي تمر بأدق وأعقد وأصعب مراحلها التاريخية بسبب ما تتعرض له من هجمة أرهابية تكفيرية بربرية وهيمنة القوى الأجنبية على قرارها السياسي والإقتصادي وتسلط حكومات وأنظمة مستبدة معادية لتطلعات وآمال الجماهير الشعبية لا بد لها وهي أمة مكافحة مناضلة تأبى الخنوع والإستسلام لقوى الإرهاب والشر والظلام والإستبداد وترفض الإحتلال والهيمنة الإستعمارية على مقدراتها ومصيرها وتتطلع لإسترداد حريتها ومكانتها وكرامتها وحقها الطبيعي في الحياة الحرة الكريمة أن تلملم تبعثرها وتضمد جراحها النازفة وتعيد تنظيم صفوفها وتحشد طاقاتها مسترشدة بمبادئ ثورة يوليو القومية التقدمية التي تحتفل الجماهير الشعبية العربية وطلائعها وقواها الثورية الحية هذه الأيام بذكرى قيامها الثامنة والستون وبتعاليم وأفكار القائد المعلم جمال عبد الناصر ومشروعه الوحدوي الحضاري النهضوي لتتخلص مما هي من ضعف وإحباط وتشتت وتجزئة وتتمكن من إعادة تشكيل وصياغة مستقبلها الجديد الذي ينتظرها و من بناء دولتها العربية الديمقراطية الواحدة،دولة حقوق الإنسان والحرية والمساواة والعدالة الأجتماعية..

قادة ثورة يوليو قبل الاطاحة بابرز رموزها

ثورة 23 تموز (يوليو) 1952 والفن

حيدر زكي عبد الكريم
الناصرية

تمرُ في 23 من تموز الجاري الذكرى الثامنة والستين لثورة الثالث والعشرين من تموز/ يوليو 1952كانت ابتدأ يُغير معالم المجتمع المصري لا بل حتى المجتمع العربي ، وبعثت في الحياة الثقافية والفكرية روح جديدة متحررة من قيود الظلم والاستغلال والتبعية .. أنّ مسيرة ثورة ظافرة لا يمكن ايجازها بسطور ، لكننا نُسلط الضوء على ابرز ما حدث منذ ذلك التاريخ ، لا استرجاع تلك الحداث لكي تطلّع الاجيال الحالية على حدث تاريخي يمكن الاستفادة منه في حالة التردي او الضعف ومعالجة الاخفاقات السابقة بالوقت ذاته كنوع من التصويب او التصحيح وعدم الوقوع بالخطأ ذاته ان صح التعبير .

مُقدّمة لا بد منها :

الاقلام هي المادة الاولية لكل انقلاب ولكل وعي ، فإذا كانت قد أدت الى الان رسالتها بخلق الوعي وشعور الكرامة ، فأنّ رسالتها لا تقف عند هذا الحد ، بل عليها ، ان تستمر على مُساندة هذا الوعي والشعور ، وتوجيه وجهتها الصحيحة ، لئلا تنقلب الحركات السياسية والاجتماعية المباركة عكس اهدافها ومراميها القومية النبيلة. ((1

تلك الحقيقة ينبغي أن تستقر في الاذهان بكل ما في الوسع قوة وتوكيد ، لأنها لم تخرج من تجاربنا الوطنية بحقيقة أهم منها وأحقُ بالتقرير . فالأمة تجد نفسها حين تجد وجهتها ، وتجد وجهتها حين تجد زعامتها التي تنضوي اليها لما تحسهُ فيها من القدرة المتفق عليها . ((2

وبما أنّ الاذهان هي جوهر الانسان ، اذن فالإنسان هو –وهو وحده – الذي يُقرر م اذا كان حراً أو لا ، يعني قادرا على الاختيار أولاً ، وكما يقول سارتر : " اني محكوم عليّ أن أكون حرا ، وهذا يعني انه لا يمكن أن يوجد لتجربتي حدود غير ذاتها " . ((3

مسألة مهمة وهي عندما نقول الفن –فالفن –ثقافة والثقافة حياة ، والفنون متنوعة كالرسم والفن التشكيلي والتمثيل والغناء والموسيقى الخ ..

أنّ الفن العربي التقليدي وجدّ خلوده وثباته في حناجر المرتلين لكتاب الله ، وفي افواه المُنشدين لقصص المولد النبوي ويمتد اليها جمال اللحن المناسب ، الذي يجمع بين اطرافه الوقار ، وشهد هذا البعث الكبير وتمتع بأصدائه من أمتد بهم العمر الى مطلع القرن الجديد (العشرين) ، حين نستقبل اصداء الاغاني السحرية والالحان القوية ويصبح كل شيء في خدمة السلام ، واسعاد الانسان العربي . ((4

وبهذا الصدد يقول الفنان كامل الشناوي : " أن الفنان الصادق لا يتعجل المجد ، ولكن ينتظره ، وكلما أحسّ أنه في حالة انتظار ، فأنه يدنو من القمة التي يتوق الى بلوغها والاستقرار عليها " .

ويعرفهُ الرائد المسرحي زكي طُليمات : " لا يوجد هناك ربع فن أو نصف فن .. كل المسألة هي فن أو لا فن شرف او لا شرف ! ". ((5

كما ان تذوّق الجمال يختلف باختلاف الملابسات النفسية والاجتماعية والحضارية . والجمال بهذا المعنى قيمة نسبية ، ولكن الا توجد عناصر مشتركة تجعلنا نتذوق الاعمال الجميلة التي حدثت؟(6)

عصر حديث

وترى الدكتورة سهير القلماوي (رحمها الله) : " أن أشكالاً من الفن بعينها هي التي أخذت تروج في العصر الحديث شرقا وغربا ولننظر للأدب مثلاً ، فسنجد في كل البيئتيّن ، ان فنون المسرح والسينما والرواية وما شابهها من فنون جماهيرية هي التي لها الصدارة على سائر أشكال الفن القولي . وهذا يؤثر في تقنية الفن ودروب ازدهاره بأكثر كثيراً مما كان الدارسون يقررون حول علاقة السلطة بالفن – وتضيف –نحن العرب ألسنا نستطيع ان نُسهم في هذه الدراسات اذا أتجهنا الى تاريخ الفن في بيئتنا العربية، لا لنكون مُجرد راصدين وإنما باحثين بأصالة ... " . ((7

وبهذا الشأن يرى الاديب توفيق الحكيم : " أن الكاتب او الفنان عندما يضطر الى توقيع الهدنة مع واقع مريض لا يؤمن به .. فانه يصبح نوعاً من ..... وللعمل الفني شرطان هما التعبير – الخلق- والتفسير –معنى الخلق- ، فالفنان عندما يخلق انما يعبر عن موهبة الخلق الكامنة فيه . وهذا ما يجعلهُ فناناً . ولكنه احياناً يريد ان يضيف شيئاً اخر الى الخلق الفني .. وهو ان يجيئ هذا الخلق مُفسراً لمعنى من معاني الحقيقة او ان يدل على موقف معين من الحياة والمجتمع " . ((8

الثورة والفن :

لقد ظهرت تجليّات هذا الفن عبّر اثير اذاعة صوت العرب من القاهرة ، لتستمع الشعوب اعذب الانغام من خلال افصاح شعب مصر عما في جوهره ويرى البعض " والذي ظلّ دائماً صادق الحس في الوصول الى هدفه .. شديد الصبر على احتماله المكاره والاهوال من اجل هذا الهدف ، يتصرف بوحي من موقف اصيل دائم في حمل المسؤولية تجاه حركة التحرر العربية " . ((9

أن الفنون في بلد كمصْر ، ما كانت لتستمر ، و تزدهر بغير أن تسندها الدولة ، و ترعاها باستمرار و شجاعة ((10

أنّ ثورة يوليو 1952حققت أوسع معنى من معاني الحرية في ميدان الفن ، فمن الناحية العملية لم يحدث أن دولة الثورة صادرت ديوانا من الشعر او قصة او رواية او لوحة تجريدية او واقعية . وهذا الموقف العملي بجانب ما يحمله من قيمة خاصة ومغزى كبير انما يصدر في الحقيقة عن موقف اصيل من الحرية الفنية .

فالثورة لم تبدأ العمل في ميدان الفن ، بفرض نظرية معينة على الفنانين دون السماح لهم بتجاوزها او الخروج عليها ، ولم تكن المسألة بلاهة او سذاجة ثورية ولم تكن عجزاً عن التدخل في الحركة الفنية ولكن الاساس في هذا الموقف ان الفن في النهاية انعكاس للحياة وتعبير عنها ، وان تغيير الواقع الاجتماعي سوف يؤدي بالضرورة الى تغيير وسائل التعبير الفني – (نود الاشارة هُنا نحن الكاتب الى ان هذه الكلمات بحد ذاتها رأيٌ صريح وكان مسموح بنشرها في الصحف والمجلات المصرية في ستينات القرن الماضي ..لذا اقتضى التنويه للقارئ)- .

ولم تقع الثورة فيما وقعت فيه ثورات اخرى في بعض مراحلها من تحديد ضيق لمفهوم الفن ومعناه ، فالثورة لم تعترف بنماذج الجمود الفكري والفني ، ومنذ يوليو 1952 لم يشعر الفنان العربي المصري بأنه محروم من التعبير بأي أسلوب فني جاء ، فلا هو محروم من التجريد ولا من الرمز ولا من التعبير الواقعي ولا هو محروم من التعبير عن عواطف الحزن او عواطف الغضب او عواطف الفرح والحُب ، او ما شاءت له عواطفه أن يُعبرّ عنه في فنه .

ولاشك أن مما ساعد الثورة على ان تقف هذا الموقف بالإضافة الى ما سبق ، هو وعي قيادة الثورة بالمناخ الفكري السائد في النصف الثاني من القرن العشرين ، انه مناخ متحرر من الجمود العقائدي والتطبيقات الفكرية المتعصبة التي تبتعد عن جوهر الروح الثورية والروح الاشتراكية معاً . ((11

كان الهدف من الرصيد الغنائي هو تعزيز الجانب المعنوي لثورة تموز/يوليو والاستفادة من نجوم الساحة الغنائية امثال فريد الاطرش والموسيقار الكبير محمد عبدالوهاب ومحمد فوزي وكارم محمود ومن المطربات ايضا السيدة ام كلثوم (كوكب الشرق) وليلى مراد وشادية ونجاح سلام ووردة الجزائرية وغيرهنّ ولا ننسى محمد قنديل ومحمد رشدي ومُطرب الثورة عبدالحليم حافظ (العندليب الاسمر) مع الاعتذار عن الاخفاق في عدم ذكر الاخرين ولا يسع المجال هُنا ...

" تعد الأغنية الوطنية مكوناً أصيلاً وموروثا ثقافياً حاضرا مع كل الأحداث التي مرت بها مصر وكانت ثورة 23يوليو 1952التي حولت مصر من الحكم الملكي إلى الحكم الجمهوري عن طريق تنظيم الضباط الأحرار الذى كان يتزعمه اللواء محمد نجيب و جمال عبد الناصر من أهم المحطات لانطلاق الأغاني الوطنية " . ((12

لقد بدى ان هذه المجاميع تُردد اغاني الحياة بكلمات والحان من صنعها لتكتمل الصورة عندَ المُتلقي او المستمع ، ولنا وقفة تستحق مع مُطرب ثورة يوليو 1952)عبدالحليم حافظ) ويذكر المُلحن الراحل محمد الموجي عن دور عبدالحليم وأغنياته الوطنية : " يبدو أنّ عبدالحليم أدرك بذكائه أن سبب نجاحه سياسي أو بمعنى أصح المناخ السياسي وبذلك سعى بسرعة الى الاقتراب من الاضواء السياسية ومن المسئولين ، كما اقترب منه المسئولون ايضا بسبب شهرته التي توطدت ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم حتى أن الرئيس عبدالناصر قال عنه سنة 1956انه –مُغنيّ الثورة –وقالها بمناسبة أغنيتين .. الاولى ناصر يا حبيب الملايين وحكاية السد ويضيف –الموجي –ثمة شبه بين عبدالحليم والرئيس الراحل عبدالناصر ، لقد كان متأثراً بشخصيته الى حد كبير حتى انه في الفيلم المصور لأغنية –السد- كان يتحرك بطريقته نفسها ولاحظ أن عبدالحليم أبتدع بدعة جديدة في الغناء وهي القاء الخطب قبل اداء أيّ أغنية في الحفلات ". ((13

ومن الحوادث في تلك الفترة الخلاف الذي كان أثناء اعياد الثورة بين عبدالحليم حافظ والسيدة ام كلثوم ، وذلك عندما تأخر عبدالحليم في القاء اغنيته بالحفلة وقام بالتعليق عن طريق الميكرفون وعلى الهواء مباشرة ، حتى انه منع في السنة التالية من المشاركة بحفلات اعياد الثورة ، لكن وبامر مُباشر من الرئيس جمال عبدالناصر ، سمح بتأدية واجبه الوطني اتجاه الثورة خلال نفس الفترة لكن خارج مدينة القاهرة بسبب انتهاء الاحتفالات فيها ، وبعد نكسة حزيران/يونيو 1967خصص عبدالحليم ايراد حفلاته للمجهود الحربي –انه فعلاً مُطرب ثورة يوليو بجدارة وبعطاء تخطى الزمن . وفي الشأن ذاته يقول الرئيس جمال عبدالناصر عن عبدالحليم حافظ : " أن أغنية من أغنيات عبدالحليم –الوطنية – تُعادل جهد وزارة في ثلاث سنوات " . ((14

اما اشهر اغنيات مُطرب الثورة ، يليها المؤلف والمُلحن معاً وهي : حكاية شعب" احمد شفيق كامل – كمال الطويل" (في حفل اضواء المدينة بمناسبة وضع حجر الاساس للسد العالي) ، أرض الجزائر "كمال منصور – بليغ حمدي" البندقية اتكلمت "محسن الخياط – بليغ حمدي" ، الفوازير "مرسي جميل عزيز – محمد الموجي" ، انذار" صلاح جاهين – بليغ حمدي" ، بالأحضان "صلاح جاهين – كمال الطويل" ، بستان الاشتراكية " صلاح جاهين – محمد الموجي" ، بلدي "مرسي جميل عزيز – كمال الطويل" ، راية العرب "احمد شفيق كامل – كمال الطويل" ، صورة "صلاح جاهين – كمال الطويل" عدى النهار "عبد الرحمن الأبنودي – بليغ حمدي" ، نشيد ناصر " صلاح جاهين – كمال الطويل" ، ولا يهمك يا ريس "عبد الرحمن الأبنودي – كمال الطويل" ، يا بركان الغضب "عبد الرحمن الأبنودي – كمال الطويل" الله يا بلدنا "أنور عبدالله– محمد عبد الوهاب" ، مطالب شعب " احمد شفيق كامل – كمال الطويل " ، يا اهلا بالمعارك "صلاح جاهين – كمال الطويل" ، موال النهار "عبدالرحمن الابنودي – بليغ حمدي" ، المسيح "عبدالرحمن الابنودي – بليغ حمدي" ، المسؤولية " صلاح جاهين – كمال الطويل" ، فدائي "محمد حمزة – بليغ حمدي" وغيرها الكثير يُضاف لها الروائع العاطفية .. ((15

وللأمانة –ما كانت احداث الثورة وانجازاتها تمرُ ، مالم تُسجلها ريشة صلاح جاهين بالعبارة الرائعة المزوجة بالأصالة والبساطة ، يرافقها اللحن الجميل والتوزيع الموسيقي –(اضافة الشكل الخارجي للحن)- بقيادة علي اسماعيل رفيق مشوار عبدالحليم (رحمهم الله جميعا) .

يُضاف الى ان هذه الاغاني تعكس قصة ونحن نعرف بأن القصة شيء والاغنية شيء اخر ، ما نريد ذكره حول هذه الاشكالية بانها ظاهرة تحتاج الى دراسة متخصصة يجب الوقوف عندها من قبل اصحاب الدراسات الاكاديمية .(الكاتب) .

وكما كان عبدالحليم حافظ كانت السيدة ام كلثوم سبّاقة في رفد هذا الجانب من الغناء الوطني والمجال لا يسع لإحصاء تراثها ولكن كلمة الحق تُقال ، هناك الكثير من الشعراء خلدّت كلماتهم ام كلثوم ولم يقتصر على ادباء مصر وشعرائها ، بل امتد ايضاً الى شعراء وادباء العالم العربي كلهُ .. فهذا الشاعر العراقي الكبير جميل صدقي الزهاوي" يكتب قصيدة عنها فيقول فيها :

الفن روضٌ أنيق غير مشئوم
وأنت بلبلهُ يا أم كلثوم
لأنت أقدرُ من غنى بقافيةٍ
لحناً يرجعهُ من بعد ترنيمْ

يمكن القول بأن أم كلثوم استطاعت أن توحّد قلوب ملايين العرب ، فكانت رافداً اساسياً للعروبة بشكل مُباشر ان جاز التعبير ، والكل يعرف ايمان والتزام السيدة ام كلثوم يضاف الى انتمائها الوطني والقومي الانساني وتقول السيدة ام كلثوم بهذا الصدد : " أنها غنّت لمصر وهي تعاني آلام النكسة ، فكيف لا تغني لها بعد ان حققت نصراً عظيماً في اكتوبر " 1973 على حد وصف الشاعر صالح جودت . ((16

كما غنّت ام كلثوم تحت سطح اهرامات الجيزة لصالح مشروع انقاذ معابد (فيلة) وهي المجموعة الجديدة من اثار النوبة التي وجهت هيئة اليونسكو الدولية الدعوة لتنظيم حملة عالمية لإنقاذها وتقرر اقامة مسرح كبير يسع ((4000 متفرج بجوار تمثال ابو الهول وكذلك دورها في السفر لأحياء حفلات كما حدث اثناء توجهها الى ليبيا لإقامة حفلتين كبيرتين تقرر اقامة احدهما في طرابلس والاخرى في بنغازي لصالح المنظمات الفلسطينية . وكذلك لصالح مهاجري منطقة القنال (بعد عدوان 1967)(17).

اغنيات ثورية

كانت اغنيات الحياة (الثورية) تعكس قصة الثورة وولادتها والمصاعب التي مرت فيها ، وترسم ملامح مصرية عربية انسانية في انحاء القطر المصري من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب وبلاد النوبة وحتى الاخيرة عبرّت عم مظاهر التغيير بعد 23تموز/يوليو ؟ 1952يرى البعض "هُم اناس يعشقون الغناء وتراثهم الفني يشمل مجموعة من الاغاني والالحان القديمة ، لن يُفهَم كلمة مما يتغنون به ولكن اللحن وصدق الاداء وعمق التعبير يشجع على الاستماع بشوق وشغف .. اغاني الحُب العذري العفيف وانا شيد جماعية عن الوطن الكبير واغاني للنيل والخَصب " . ((18

ومن الجدير بالذكر كانت هناك ظاهرة نقدية فنية في الغناء وعلى سبيل المثال لا الحصر برز عدد من المغنيين امثال الشيخ امام وعدلي فخري –(ظاهرة وسطية نقدية مستوحاة من الواقع)- والشيخ امام يُغني على العود ويلحن اغانيه ومُعظمها من كلمات الشاعر احمد فؤاد نجم حيث تميز بالنقد والحماس فيغني : يا مصر أنت اللي باقية ... وأنت أصل الاغاني ، فقد كانت الاذاعة تذيع اغانيه يومياً عام 1968من صوت العرب : برنامج بعنوان (من الحان الشيخ امام) لمدة شهرين ثم اعترض الشيخ امام لأن الاذاعة تحذف اجزاء من اغانيه وبسبب ذلك لم يُغني في الاذاعة . اما عدلي فخري واغانيه التي كانت تُقدّم شيئاً مُشابهاً وكما يقول الدكتور والاديب يوسف ادريس : " انهما مرحلتان المرحلة الأولى الشيخ امام حيث ينقد الواقع . والمرحلة الثانية عدلي فخري يُبشرنا بواقع اخر . فالأمل ينطلق من اغاني عدلي فخري وهو امل مع ثورة فيُغني للكثير من شعراء المقاومة مثل سميح القاسم ومحمود درويش " . ويقول في احدى اغانيه : في عزّ ليل القهر .. تخضر الاماني .((19

واخيرا : كانت هذه الثورة العظيمة من الشعب والى الشعب ويقول الزعيم الراحل جمال عبدالناصر : " إن الإرادة الشعبية هي التي تملك أن تصنع قيادتها ، وأن تحدد لها مكانها. إن الشعب يجب دائماً أن يبقى سيد كل فرد وقائده ، إن الشعب أبقى وأخلد من كل قائد مهما بلغ إسهامه في نضال أمته ، أقول هذا وأنا أدرك وأُقدّر أن هذا الشعب العظيم أعطاني من تأييده وتقديره ما لم أكن أتصوره يوماً أو أحلم به. لقد قدمت له عمرى ولكنه أعطاني ما هو أكثر من عمر أيّ إنسان " .

الهوامش

((1عيسى الناعوري ، رسالتنا اليوم ، مجلة القلم الجديد ، العدد 3 ?السنة الاولى ، الاردن ، ?1952 ص .3.

(2)عباس محمود العقاد ، شباب وشباب ، مجلة الهلال ، العدد ? 3 مصر ، ? 1949ص .15.

(3)مهدي النجار ، مواقف من الحرية ، مجلة الثقافة ، العدد ? 2 السنة الثانية ، العراق ،?1972 ص .17.

(4)د. محمود احمد الحفني ، سيتحقق الحلم الذهبي ، مجلة الهلال ، عدد خاص ، مصر ، ?1959 ص .128.

(5)كامل الشناوي ، افكارهم ، مجلة الهلال ، العدد ?11السنة ?70مصر ، ? 1962ص .34.

(6)دائرة معارف الهلال ، علم الجمال ، مجلة الهلال ، مصر ، ? 1965ص .184.

(7)د. سهير القلماوي ، الى اين ، مجلة الهلال ، العدد ?10السنة ?74 مصر ، ? 1966ص .120.

(8)محمد عوض ، توفيق الحكيم تحت الفحص ، مجلة اخر ساعة ، مصر ، ? 1969ص .29.

(9)حسن فؤاد ، مدرسة مصر ، مجلة صباح الخير ، العدد ?1029 مصر ، ?25/9/1975ص .7.

(10)حسام الطباخ ، الفن وثورة 23 يوليو ? 1952بوابة اخبار اليوم ، مصر ، .24/7/2016.

(11)رجاء النقاش ، حرية الفنان في مجتمع الثورة ، مجلة المصور ، مصر ، ?1968ص . 36.

(12)اميمة سيد احمد ، ثورة يوليو وارساء مبدأ العدالة الثقافية ، الهيئة العامة للاستعلامات –مصر ، 22/7/2017.

(13)بكر الشرقاوي ، موسيقى محمد الموجي ، مجلة الدستور ، العدد ?147السنة ? 3لبنان ، 6/8/ ? 1972ص .40.

(14)مقابلة خاصة مع شخصية فنية .

((15موقع الرئيس جمال عبدالناصر ، الفنون والثقافة ، اغاني الثورة : على الرابط : http:// nasser.bibalex.org/

(16)مأمون غريب ، شعراء خلّدت كلماتهم ام كلثوم ، مجلة اخر ساعة ، مصر ، ?1975ص.

((17جميل عارف ، حكايات وراء الاخبار ، مجلة اخر ساعة ، مصر ، ? 1969ص . 12

(18)فاروق اباظة وعواطف حليم ، مجلة المصور ، مصر ، 10/5/ 1968 .

(19)سلوى الخطيب و سهام ذهني ، الغناء السري في مصر ، مجلة صباح الخير ، العدد ? 1075مصر ، 12/8/1976ص .6

فنانون: جمال عبد الناصر محوطا بعدد من الفنانين بينهم ام كلثوم